تدور أحداث هذه الرواية حول عائلة «كارامازوف». وكبير هذه الأسرة هو «فيدور فيتش كارامازوف» الغريب الأطوار. لقد تزوج «فيدور» مرتين، فأنجب من قرينته الأولى ابنه «ديمتري» ثم انتحرت حين لم تطق العيش مع مثل هذا الزوج الوضيع الذي اكتشفت سجاياه الذميمة، وأنجب من قرينته الثانية ابنيه «إيفان» و«أليوشا»، ثم ماتت مريضة. وقد أنجب «فيدور» ابناً ثالثاً غير شرعي من امرأة ملتاثة العقل، وهو «سمردياكوف».

وكان هذا الأب يعامل أبناءه معاملة سيئة للغاية، فلم يكن يهتم بتربيتهم ولا بمعيشتهم بالرغم من أنه ورث عن زوجته الأولى ثروة كبيرة كانت سبباً في نشوب شجار عنيف بينه وبين ابنه «ديمتري».

وقد اتجه «الإخوة كارامازوف» اتجاهات مختلفة في الحياة، فانخرط «ديمتري» في إحدى المدارس العسكرية، والتحق «أليوشا» بأحد الأديرة آملاً أن يصبح راهباً. وعكف «إيفان» على الدراسة والمطالعة حتى استطاع أن يثقف نفسه ويكتب مقالات في المجلات والصحف. أما «سمردياكوف» فإنه أصبح خادماً في البيت.

كان «فيدور» شيخاً متصابياً، ضعيف الإيمان، يقبل على ملذات الحياة بنهم، ويجد متعة عجيبة في الكذب والتهريج، ويعلن رذائله على الملأ، ويفخر بها. وهو يلتزم قاعدة في سلوكه و«هي أن في كل امرأة شيئاً خاصاً شائقاً لا يمكن أن يوجد في امرأة أخرى»[١٢]، وعليه أن يبحث عن هذا الشيء ويوقف حياته في البحث عنه.

ومن سخرية الدهر أن يصطدم هذا الشيخ مع ابنه البكر «ديمتري» وينافسه في حب امرأة لعوب تدعى «جروشنكا». وقد اكتسب الأبناء خصالاً سيئة من أبيهم، فديمتري يكره أباه كراهية شديدة ويهدده كل لحظة بالقتل إذا لم يعد إليه أموال أمه ويتخلى له عن عشيقته «جروشنكا». وقد ضربه مرة ضرباً مبرحاً كاد أن يودي به لولا تدخل «إيفان»، وراح يصيح مهدداً: «إذا أخطأته هذه المرة، فسأعود مرة أخرى لأجهز عليه...»[١٣].